

يَسْتَعْفِفُ يُعْفُهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَعَنَّ يَغْنِهِ اللَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

٣٧ - باب: في الإنفاق مما يجب ومن الجيد

المصدق به لنفسه أو لمومنه، قال الخطابي: لفظ الظهر يزداد في مثل هذا إشباعاً للكلام، والمعنى: أفضلها ما أخرجته الإنسان من ماله بعد أن يستقي منه قدر الكفاية لأهله وعياله، ولذا قال أولاً: «وإبدأ بمن تعول» وقال البغوي: المراد غنى يستظهر به على النوائب التي تنوبه، والتكثير^(٢) في غنى للتعظيم، قال الحافظ في الفتح: هذا هو المعتمد في معنى الحديث، وقيل: المراد خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن السؤال، وقيل: عن للسبية والظهر زائد، أي: خير الصدقة ما كان سببها غنى المصدق أهـ. وقال القرطبي: معنى الغنى: حصول ما تدفع به الحاجة الضرورية، كالأكل عند الجوع المشوش الذي لا صبر عليه وستر العورة ونحوه أهـ. وقال المصنف: مذهبنا أن التصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه ولا عيال له لا يصبرون، ويكون هو أيضاً ممن يصبر على الإضاعة، فإن لم تجمع هذه الشروط كره، وأما ما يحتاج إليه ويؤدي الإيثار به إلى هلاك النفس والإضرار بها، أو كشف العورة، فلا يجوز الإيثار به، فإذا سقطت هذه الحقوق الواجبة صح الإيثار وكان أفضل بشرطه، وبهذا يندفع التعارض بين الأخبار. (ومن يستعفف) بفك الإدغام، أي: عن السؤال (يعفه الله) بضم التحتية والفاء اتباعاً لحركة الضمير، أي: يصيره عفيفاً، أي: بمال يغنيه به عن الحاجة، أو بقناعة في نفسه، وقيل معناه: ومن يطلب العفة وهي الكف عن الحرام يعفه الله، أي: يصيره عفيفاً (ومن يتغن) بما أعطيه ويقنع به (يعنه الله) عن الاحتياج لما فوقه، فإن طعام الاثنين يكفي الثلاثة، والنفس معك إن أرسلتها استرسلت، وإن فطمها وقفت وانفطمت. (رواه البخاري) أي: بهذا اللفظ، ولفظ مسلم أخصر كما يأتي التنبيه عليه في باب القناعة من الأصل وثمة زيادة في شرح الحديث في الشرح.

باب طلب الإنفاق مما يجب

أي: من محبوبه طبعاً، فما مصدرية، أو من الذي، أو من شيء يحبه، فما موصول اسمي، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف عليهما (ومن

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى (٣/٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) قوله والتكثير الخ قال الكهرماني قال التوربشتي هو مثل قولهم هو راكب متن السلامة ونحوه من الالفاظ التي يعبر بها عن التمكن من الشيء والاستعلاء عليه والتكثير في غنى للتفخيم. ش.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (١): ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى (٢): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾.

٢٩٨ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ

الجيد) عادة، أو من الجيد بالنسبة للمدفع إليه المحبوب عنده (قال الله تعالى: لن تنالوا البر) أي: لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير، أو لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة، (حتى تنفقوا مما تحبون) أي: من المال، أو مما يعمه وغيره، كبذل الجاه في معاونة الإخوان، والبدن في طاعة الله، والمهجة في سبيله، ومن للتبعض أو للابتداء، ويؤيد الأول أنه قرئ بعض في مكان من (وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) من حاله، أو من خياره (ومما أخرجنا لكم من الأرض) أي: ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والتمر والمعادن، فحذف المضاف لتقدم ذكره، وفي الإيماء الحسن: أظن والله أعلم أن أفضل ما يتصدق به الشخص ما كان من كسب يده وقد كان يذهب الواحد من الصحابة رضي الله عنهم يكتب بنحو عمل ثم يتصدق به أو منه (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا الرديء (منه) أي: من المذكور، أو مما أخرجنا، وتخصيصه بذلك؛ لأن التفاوت فيه أكثر (تنفقون) حال مقدرة من فاعل تيمموا، ويجوز أن يتعلق منه به، ويكون الضمير للخبيث والجملة حالاً منه، قال بعضهم: من تصدق بنفيس فاز بنفيس ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (٣).

٢٩٨ - (وعن أنس) ابن مالك (رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة) زيد بن سهل (رضي الله عنه أكثر الأنصار) هم أولاد الأوس والخزرج، وهو اسم إسلامي، سموا به لنصرهم النبي ﷺ بالمدينة (مالاً) تمييز عن نسبة الأكثرية إليه (من نخل) بيان لمال (وكان أحب أمواله إليه) يجوز أن يكون مرفوعاً، اسم كان وخبرها (بیرحاء) ويجوز العكس، ويؤيد الأول قوله الآتي: «وإن أحب مالي إلي بيرحاء» ففيه أن مراده بيان الأحب إليه لا الحكم عليها بأنها

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٣) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنْ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرِحَاءَ وَإِنِّهَا

أحب إليه، وجاء في ضبط هذا اللفظ أوجه كثيرة، ضبطها في النهاية فقال: يروى بفتح الباء وبكسرهما وفتح الراء وضمها وبالمد والقصر، فهذه ثمان لغات، كذا في باب الزكاة على الأقارب، من الفتح للحافظ، ونازعه تلميذه شيخ الإسلام زكريا بأن الذي في عبارة النهاية أنها بفتح الياء وكسرهما وفتح الراء وضمها والمد فيهما وبفتحهما والقصر، فجملتها خمسة لا ثمانية كما وقع لبعض الشراح، وكأنه تصرف في عبارة النهاية اهـ. قال الحافظ: وفي رواية حماد بن سلمة: ربحا، بفتح أوله وكسر الراء وتقديهما على التحتية، وفي سنن أبي داود: باربحا، مثله لكن بزيادة ألف، وقال الباجي: أفصحها بفتح الباء وسكون الياء وفتح الراء مقصوراً، وكذا جزم به الصاغاني، وقال: إنه فيعلا من البراح، قال: ومن ذكره بكسر الموحدة فظن أنها بئر من آبار المدينة فقد صحف، وقال القاضي عياض: رواية المغاربة إعراب الراء والقصر في حاء، وخطأ هذا الصوري، وقال الباجي: أدركت أهل العلم ومنهم أبو ذر يفتحون الراء في كل حال، زاد الصوري: وكذا الباء، أي: أوله، فانتهى الخلاف في النطق بها إلى عشرة أوجه، واختلف في حاء، هل هي اسم رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه؟ أو هي كلمة زجر للإبل؟ فكان الإبل كانت ترعى هناك وتزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة المذكورة (وكانت مستقبلة) بكسر الموحدة (المسجد) النبوي (وكان رسول الله ﷺ يدخلها) أي: الحديقة المذكورة (ويشرب من ماء فيها طيب) أي: عذب، ففيه جواز دخول أهل الفضل للحوائط والبساتين والاستئلال بظلمها والأكل من ثمرها والراحة والتنزه، وقد يكون ذلك مستحسناً ليرتب عليه الأجر إذا قصد به إجمام النفس^(١) من تعب العبادة وتنشيطها في الطاعة، (قال أنس) أعاد الراوي ذكره؛ لطول الكلام، وهذه عادة العرب في محاوراتها (فلما نزلت هذه الآية) وبينها بقوله: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة) قاصداً (إلى رسول الله ﷺ) فقال يا رسول الله إن الله سبحانه وتعالى يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وهذا من أبي طلحة من باب لازم فائدة الخبر (وإن أحب مالي إلي بيرحاء وإنهما) لكونها أحب إلي، وقد وقف حصول البر على الإنفاق

(١) أي اراحتها كما في المختار. ش.

صَدَقَةَ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفَعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ

من المحبوب (صدقة لله تعالى) أي: وقفاً على المتصدق بها عليه، ويحتمل صدقة التملك، وهو ظاهر سياق الماجشون عن إسحاق حيث قال: فجعلها أبو طلحة في ذوي رحمه قاله الحافظ: (أرجو برها) أي: خيرها (وذخرها) بضم الذال المعجمة وبالهاء الساكنة المعجمة، هو ما يعد لوقت الحاجة إليه كما في المصباح، أي: انتفاعي بها وقت حاجتي إليها وهو يوم القيامة وسائر أوقات الشدائد، وفسره الشيخ زكريا بقوله: أي: أجرها (عند الله) ظرف تنازعه ما قبله (فضعها يا رسول الله حيث أراك الله) تفويض منه إليه في تعيين مصرفها لا في وقفيتها (فقال رسول الله ﷺ: بخ) بفتح الموحدة وسكون المعجمة وقد تنون مع التثقيب والتخفيف بالكسر والرفع، كلمة تقال لتفخيم الأمر والإعجاب به (ذلك) أي: المتصدق به (مال رابح) بالمشاة التحتية بعد الألف أو بالموحدة بعدها كما سيأتي. قال الحافظ: في الحديث فضيلة لأبي طلحة؛ لأن الآية تضمنت الحث على الإنفاق من المحبوب فترقى هو إلى إنفاق أحب المحبوب، فصوب ﷺ رأيه وشكر عن ربه فعله وكفى عن ذلك بقوله بخ الخ. قال البيضاوي في التفسير: وهذا يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل، وأن الآية تعم الإنفاق الواجب والمتحبب هـ. (وقد سمعت ما قلت) إن كانت ما مصدرية فلا خلاف، وإن كانت موصولة فالعائد محذوف، أي: قلته، ثم أمره أن يخص بها أهله بقوله: (وإنني أرى) من الرأي في الأمر، والجملة معطوفة على قوله وقد سمعت (أن تجعلها) صدقة (في الأقربين) أي: لك (فقال أبو طلحة افعل) بضم اللام على أن الضمير المتر فيه لأبي طلحة (يا رسول الله فقسمها أبو طلحة) فيه^(١) تعيين أحد الاحتمالين في رواية غيره، حيث وقع فيها أفعل فقسمها فإنه احتمال الأول، واحتمل أن يكون أفعل صيغة أمر، وفاعل قسمها النبي ﷺ، فانتفى الاحتمال الثاني بهذه الرواية، وذكر الحافظ ابن عبد البر أن إسماعيل القاضي رواه عن القعني عن مالك، فقال في روايته: فقسمها رسول الله ﷺ في أقاربه وبني عمه، قال: وقوله أقاربه، أي: أقارب أبي طلحة، قال ابن عبد البر، إضافة القسم إلى رسول الله ﷺ وإن كان شائعاً في لسان العرب على معنى أنه الأمر به، لكن أكثر الرواة لم يقولوا ذلك، والصواب رواية من قال: فقسمها أبو طلحة (في

(١) أي في قوله فقسمها الخ. ش.

عَلَيْهِ. قَوْلُهُ ﷺ: «مَالٌ رَابِحٌ» رُوِيَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «رَابِحٌ» وَ«رَابِحٌ» بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَبِالْيَاءِ الْمُثْنَاةِ: أَي رَابِحٌ عَلَيْكَ نَفْعُهُ. وَ«بِيرْحَاءُ»: حَدِيقَةُ نَخْلِ، وَرُوِيَ بِكُسْرِ الْبَاءِ وَفَتْحِهَا^(١).

أقاربه وبني عمه) من عطف الخاص على العام، وجاء في أحاديث تبين الأقارب، وأوضحها ما في مراسيل أبي بكر بن حزم، فرده على أقاربه أبي بن كعب وحسان بن ثابت وأخيه وابن أخيه شداد بن أوس ونبيط بن جابر، فتقارموه فباع حسان حصته من معاوية بمائة ألف درهم، وهذا موافق لاحتمال السابق من كون ذلك تملكاً للأقارب. (متفق عليه) رواه البخاري في الزكاة وفي الوصايا وفي الوكالة وفي التفسير، ورواه مسلم في الزكاة، ورواه النسائي في التفسير (قوله ﷺ: رابح مروى في الصحيحين رابح ورايح بالباء الموحدة وبالياء المثناة) لف ونشر مرتب أو مشوش، قال المصنف: قال القاضي عياض، روايتنا فيه في كتاب مسلم بالموحدة اهـ. وأما البخاري فرواه بالوجهين، ثم معناه بالموحدة واضح من الريح، أي: ذوربح، وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: مربوح فيه، وأما بالتحية فمعناه رابح عليك أجره، وبمعناه قول المصنف (أي رابح عليه) وفي نسخة عليك (نفعه) ولا يخفى ما فيه من إيهام أنه معناه على الوجهين، وليس كذلك، وقد عبر به في شرح مسلم على الصواب فقال: أما بالموحدة فمعناه ظاهر، وأما بالمشاة فمعناه رابح عليك أجره ونفعه في الآخرة اهـ. قال ابن بطال: والمعنى أن مسافته قريبة وذلك أنفس الأموال، وقيل: معناه يروح بالأجر ويغدو به اهـ. واكتفى بالروح عن الغدو، وادعى الإسماعيلي أن من رواه بالتحية فقد صحف اهـ. ملخصاً من الفتح. وقيل: إنما عبر به لأن المراد أنه مال من شأنه الرواح، وهو الذهب والفوات، فإذا ذهب في الخير فهو أولى (وبيرحاء حديقة نخل) وليس اسم بئر (وروي بكسر الباء وفتحها) أي: مع فتح الراء وضمها والمد والقصر كما تقدم عن الحافظ بما فيه، قال المصنف: في هذا الحديث من الفوائد أن النفقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين، وفيه أن القرابة يراعى حقها في الصلة وإن لم يجتمعوا إلا في أب بعيد؛ لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل ذلك في الأقربين، فجعلها في أبي بن كعب وحسان بن ثابت، وإنما يجتمعان في الجد السابع اهـ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب (٣/٢٥٧).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة... (الحديث: ٤٢).